معجزات صغيرة في «فيشه روم»:

حين يمتزج الواقع بالخيال فيلدان بلدا سحريا

فاروق يوسف*

1

■ يسميه الشيء السحري، ملوحا بوهم لا يخمن مادته. هو بالتأكيد لا يقصد ما نراه مباشرة أمامنا، بل يقصد المغامرة لذاتها، ذلك المنعطف المفاجئ الذي ينتقل بخطواتنا من الواقع الى الخيال، ويضعنا في قلب الحيرة، وهي حيرة استفهام يتردد في الانحياز الى ضرورته، فهو الآخر مصنوع من مادة لينة شبيهة بتلك المادة التي صنعت لحظات النظر الى تلك الواقعة الجمالية، حيث يتخطى هدف العرض الاعمال الفنية، برغم أهمية تلك الأعمال إلى استعراض فكرة ذلك الشيء السحري الذي يحلم به هنريك تيلمان. الوصف هنا ينفع: (فيشه روم)، واحدة من قرى الطريق الى الجنوب الأسوجي (السويد) ليس إلا. شارع وحيد تصطف على جانبيه المحلات التي تقدم الخدمات الاساسية، لذلك لا يحتاج المسافر الى قراءة اللافتة التي تدله الى مركز البلدة الذي قد يخترقه من غير أن يدري. فجأة عرفت أن هناك مركزا للفنون في فيشه روم. فكرة مجنونة فعلا، فالمتعارف عليه أن تقام مراكز الفنون في المدن الكبرى لا في البلدات النائية، التي تعاني الوحشة والصمت. ولكن لا مبالغة في الامر، هناك مركز حقيقي للفنون، هو في حجم ذلك المركز الموجود في مدينة كبيرة مثل مالمو. هذه المفارقة الغريبة يفك جزء من لغزها اللقاء بمدير ذلك المركز تيلمان. ذلك الشخص هو مزيج من الفنان والمخترع، المجنون والرائي، ثقته لا تخفي قلقه فيما معرفته تنبئ عن رغبة في البحث. هو في حقيقته خزينة لمشاريع محيرة، ما رأيته صدفة هو جزء من مشروع في طريقه الى التشكل. فتح لنا باب إحدى القاعات فاذا بي أشعر أنني اجوس بقدمي مكانا هو في طور التهيئة، تركه العمال للتو ليعودوا غدا لاكمال أعمالهم. ارض القاعة مرصوفة بالحصى فيما تناثرت هنا وهناك اشلاء أثاث وبقايا معدات وهناك أسلاك تمتد من مكان إلى آخر. ولكن بعد خطوتين أو ثلاث يتبدل الاحساس بالمكان، حيث يشعر المرء أنه قد وقع في الفخ. لا شيء صحيحاً مما حدسه. فكل ما تقع عليه عيناه من أشياء هي أعمال فنية عرضت لترى. يحضر ذلك الاحساس استجابة لانسجام خفي ومتين تستشعره العين بين تلك الاعمال وبين الارض التي صفت عليها. هناك مناخ شعري صنعته مخيلة مأخوذة بالخديعة هو ما يضعنا في قلب مفهوم مبتكر للعرض الفني.

2

لو طلبت من تيلمان شرحا لأجابني: لا شيء، كما يفعل الاسوجيون عادة. لذلك اكتفيت بالنظر والتصوير والحيرة، معتبرا المكان هذا منفى سريا آخر للجمال. شجرة يابسة عملاقة تشتبك بالنظر غير أنها لا تخفي بجسدها شيئا، كراس خشبية من غير مقاعد وكرات رصفت بدقة هندسية وعربة فارقتها خيولها والواح زجاجية تهبط من السقف وقد كتبت عليها جمل وافدة من مكان آخر وجدار حجري بني على عجل، صفت أمامه معدات خشبية تكفي حياة بدائية متقشفة، والواح سوداء تركت هنا وهناك بعفوية لافتة. وفجأة يحل الفراغ. هناك مساحة أخيرة في القاعة تركت عن عمد فارغة، هي السبب الذي يدعونا إلى الالتفات. بسببها عدت إلى الاعمال لاراها هذه المرة بعين مختلفة، لقد اكتسبت مهارة النظر عن طريق الحدس كما يفعل الأعمى في عتمته. فتلك الاعمال الانشائية لا تكشف عن جمالياتها من الوهلة الاولى، دائما هناك ما لم نره منها، ما يظل ملتحفا بخفائه، ما يدعونا الى العودة ثانية. هذه الاعمال ليست منحوتات ترى مكتملة، دائما هناك ما يفلت منها من النظر المباشر، أما المعنى الكامن فانه يظل أبدا في منأى عن التناول الوصفي المباشر، يحتاج المرء إلى قوة تأويل استثنائية ليتمكن من الفهم، ولكن هل الفهم ضروري في مثل هذه الحالة؟ الدهشة تحقق نتائج جمالية هي أفضل بكثير من تلك النتائج التي ينجزها الفهم. يبدو هذا الاستنتاج منسجما مع موقف، هو في مظهره يكاد يكون عبثيا، غير أنه في حقيقته يعبر عن دعوة مفتوحة للاحتماء بالطبيعة الحية.

3

كل الاعمال المعروضة مصنوعة بمواد جلبت بشكل مباشر من الطبيعة، مواد لم تخن أصولها، وليست هناك مادة تتفوق على الخشب في استدراج الانسان هنا إلى الذكريات الملحة سوى الماء، وما بين الخشب والماء هناك صلة وصل يمثلها القصب. ذلك النبات الذي ينمو على ضفاف البحيرات بكثافة. هناك عملان، كلاهما صنعا من القصب، الاول وضع داخل القاعة وهو عبارة عن مقاطع قصيرة ربطت ببعضها لتصنع شكلا تجريديا ممتلئا حنانا والثاني احتل مكانه الطبيعي خارج القاعة فكان القصب نابتا على شكل دائرة مفتوحة فيما يلفت النظر لوح خشبي استند برفق على القصب كما لو أنه يمارس نوعا من الرياضة الروحية. من شأن العمل الثاني أن لا يلفت النظر لانه وضع الى جوار شجرة أسقط الشتاء كل أوراقها فصار الاثنان يتشابهان، كأنهما حدثان عارضان. وهي صدفة مقصودة، كما اظن. العمل الفني هنا لا ينوي الاعتراض على الطبيعة بل بالعكس فانه يسعى الى اكتساب شيء من عاداتها في احداث البهجة المفاجئة في الارواح. دائرة القصب المفتوحة تسمح للمتلقي في الدخول اليها أو النظر اليها من الخلف كما فعلت بحثا عن حقيقة ذلك اللوح العابر، مثلي تماما.

4

ولكن، لماذا ذهبنا (الرسام عمار داود وأنا) الى فيشه روم، وهي البلدة التي لا يشعر المسافر بضرورة التوقف فيها؟ الحب هو السبب. هناك في رأس تيلمان مشروع معرض عن الحب، بمختلف تجلياته الايروتيكية. ولان تيلمان هذا يصر على أن للمسلمين مثل سواهم من البشر ثقافة حب، فقد خصص لتلك الثقافة جزءاً واسعا من مساحة العرض. كان داود يفكر بطوق حمامة ابن حزم وبابن عربي، فيما تيلمان يظهر خشية مرتابة من الانشاء التوضيحي، هناك معجزات جمالية يمكن استخراجها من الحب من غير أدنى اضطرار الى الافصاح أو الوصف. كلماته تستعيد ذلك الشيء السحري الذي لا يسمى. ربما يفكر بالخيال الخشن الذي كان المخرج الايطالي بازوليني قد صنع بمادته يوما ما معجزة صورية مضادة استلهمها من قصاصات الف ليلة وليلة. مهمة الرسام العراقي ليست يسيرة. ذلك لأنها تقترح كفاحا مزدوجا: فهي من جهة محاولة لاستخلاص مفهوم ثقافي من تجارب العشق العربي وفي المقابل فانها ستواجه بعذريتها وتقواها وعفة صياغاتها مفهوما آخر للحب، يحتل التفكير بتقنيات الجسد الجزء الأكبر منه. سيكون ذلك المعرض إذن ساحة مواجهة بين عالمين مختلفين، طرفاها الروح والجسد. من المؤكد أن تيلمان وهو شخصية اشكالية قد وضع كل هذا في حسابه، حين فكر بدعوة رسام، ذي خلفية ثقافية إسلامية. لكن هل من الضروري أن يستند الرسام على نص أدبي من أجل أن يستخرج آهات ولوعة وخبرة العشاق المسلمين؟ إن من يفكر باعادة بناء الهيكل لا بد من أن يهدم المعبد، حسب نيتشه، وفي حالتنا فان ولع العرب والمسلمين بالكلمة، كونها بداية الخلق، قد يكون مرجعا لصورة ثابتة، صورة لا تتحرك خارج بعديها، وهو ما لا يكفي لانشاء أثر فني يدعو الى القطيعة. لقد اعتاد الرسامون العرب أن يمدوا أيديهم الى خزانة التراث الأدبي ليلتقطوا من بين لقى بلاغته اللامعة مفردات تستدعي صورها الخيالية، وهي مهنة يغلب عليها الرجاء أكثر من أن تكون مصهرا للخلق. وهو ما ينكره الاسوجي تيلمان به، فهل سيتمكن العربي عمار داود من تقطير لهاث العشاق ليصنع خمرة تطيح برؤوس من ينظرون الى المسلمين، كونهم امة لا تعرف الحب؟ هذا ما يجب أن ننتظره أشهرا.

هنريك تيلمان

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

مجلة «الاقتصاد والمجتمع» المغربية:

فضاء معرفي للمساهمة في بلورة تصور مجتمع حداثي

الرباط ـ «القدس العربي»:

صدر العدد السادس من مجلة «الاقتصاد والمجتمع»، التي جمعت بين دفتيها ترسانة من المساهمات الفكرية العلمية، مركزة على الأبعاد المجتمعية للاقتصاد وإمكانيات بلورة تصور حداثي ديمقراطي لهذا المجال الحيوي.

وإذا كانت مجلة «الاقتصاد والمجتمع» قد فتحت بابها أمام كل الآراء والمساهمات المختلفة التي لا تشتط بطبيعة الحال عن محور المجلة وعن الهدف الذي لأجله تصدر، فإنها زكت حضورها النوعي بالأسماء المساهمة الوازنة في عددها الجديد كما في الأعداد السابقة، إضافة إلى كونها رسخت حضورها كمنبر عميق وحر للنقاش والسجال والمطارحة الفكرية العلمية، ولا أدل على ذلك من نوعية المساهمات المنشورة في عددها الجديد الذي يفتتحه التهامي الخياري مديرها بكلمة العدد مؤكدا على أن حضور المجلة واستمرارها ليسا من باب تحقيق التراكم الكمي أو قراءة المشهد الاقتصادي المجتمعي فحسب، بل كمنبر اقتراحي وإضافة نوعية طبعا ينضاف إلى جملة المنابر الأخرى، كما أن كلمة العدد أكدت على كون «الحافز الأساس الذي يقف وراء مواصلة إصدار هذه المجلة هو البحث عن أسئلة عميقة في إطار فكر علمي منطلق من خصوصية بلادنا وديناميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية».

باقي مواد العدد جاءت مكثفة وعميقة يفتتحها الدكتور محمد زناتي بموضوع حول «أبعاد المكان والزمان في تشكيل العولمة» ويليه زميله الدكتور عبد السلام فراعي بموضوع حول «التربية والتنمية أية علاقة؟».

أما الأستاذ عزوز التونسي فيبحث في «إشكالية القيادة في المجتمع المغربي» الأستاذ عبد العزيز بومسهولي فضل طرق باب موضوع «أخلاق الغير نحو فلسفة غيرية» بينما خاض الدكتور أحمد شراك في «الثقافة والسياحة نحو مطارحة علاقات القرب بالمسافة».

وفي سياق مقاربة ما هو ثقافي بالمحيط كتب الأستاذ سعيد الكحل عن ثقافة التسامح إحدى مداخل التنمية المستدامة.

ويختم الأستاذ إدريس كثير الجزء العربي من المجلة بموضوع حول «التفسير / الفهم وإنتاج المعنى... أو ما بعد الكانطية الجديدة وبالعمق نفسه جاءت مساهمات الجزء الفرنسي من المجلة الذي ضم مساهمات الأساتذة حسن زاوال محمد الزناتي وعلي فيلاج.

يدير مجلة «الاقتصاد والمجتمع» التهامي الخياري ويترأس تحريرها محمد المعزوز.

قص

البلاد الغامضة

حسين سليمان *

■ الحياة غامضة. ذلك لأنني فقدت الإيمان. الإيمان بكل شيء. لقد كنت أتحضر كي ألبس ثوبي وأضع ربطة العنق، كنت أتحضر. وفي رأسي يدور المكان.

أسمع سعاله الآن وهو مستلق على سريره. يأتي صوته من الليل... هناك... صوت أحلام. لماذا تسعل كل هذا السعال؟

لقد لمس جسدي، فشعرت بالحمى.. ترتفع في جسدي الحرارة...

هائمة فيّ كأنها تشتهي الحريق.

عند رقبتي توتر، فتعال ومدد أصابعك فيها كي تزيل الألم. فهو حاد وعلى مهل كأنك مساج برغوة مياه جرت لتوها في نهر الأردن. الأردن الذي رأيناه مرة من نافذة طائرة كانت تحجل في مشيتها على المهبط فتساءل المسافرون الذين يطيرون معنا وكانوا يريدون طهران: لماذا لم يعبدوا المهبط؟ فهناك حفر!

تقول فروغ فرخزاد: ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ماذا تقول الشاعرة؟

لا أفهم ما تقوله الشاعرة الفارسية؟

وإيران هي فقط على رمية حجر منا

حجر لا نملكه

فأين هي بلاد الفرس أيام زمان حين كانت تقول الروم وتقول الفرس؟

يخلص البحر

البحر الأبيض المتوسط الحائر بين هذا وذاك، فأين أنت أيها البحر الساكن، أنت مع من؟

ساكن عند بيروت التي رأيناها... ورأينا فيها حد الروشة. بيروت في الشاشة البيضاء الكبيرة، في السينما... الخلق يضطرب فيها، دوما يضطرب الخلق، وتضطرب معه بيروت. بيروت اللبنانية التي كانت أيام زمان تمشي على الرصيف ويلاحقها الشوام والمصريون، يلاحقها أصحاب فتح والصاعقة. أين هي الصاعقة الآن؟ لقد نزل مطرها وصار إلى يباس.

والبحر هو بحر. ماء يصيب اليابسة التي تحد البلاد.

ورأيناها من النافذة عاشقة معلقة بهامة الروشة كأنها تريد أن تنتحر بسبب هجر الحبيب. والحبيب في سفينته المهاجرة لا يلتفت نحو المعلقة التي يرفع الريح ثوبها وتبدو من بعيد سيقانها الهزيلة وبطانتها المتسخة، فلم يهجرها الحبيب فقط بل هجرتها الحياة أيضا.

لماذا تحب البنات المهاجرين الذين يركبون سفنهم ويتركون الشطآن؟

معلقة وتتراوح مع الموج. تريد رخصة الموت التي تدمغها دار الحكومة: انتحار البنت بسبب الشعر الذي في عقلها.

المذيعة في الطائرة تقول نحن سنتوجه إلى «تيران» وقصدها طهران. وأنا أريد أن أنزل في الشام التي هي على بعد رمية حجر حملته معي. حجر له زرد وسلسة للرمي أرميه حين تحلق الطائرة فوق الشام.

قاسيون له نكهة التراب الذي لا ينقطع عنه المطر، سأرمي الحجر هناك كي يجرني بسلسلته، ذلك كما جاء في فيلم عازفة البيانو حين وضعت قدمها في عنق الحبل الذي ربط البيانو الغارق. في الفيلم تبحر العازفة في البحر وتهب الرياح عاتية ويميل القارب الذي ينقلها مع البيانو والذي يأخذ يترنح مثل مدينة سكرانة! فيقول النوتي: كي ننجو يجب أن نتخلص من البيانو، أن نفك رباطه ونلقيه في البحر. فتربط بالحبل قدمها مع ساق البيانو وكان البيانو الذي راح يغوص نحو الأعماق يجرها معه. فهي لن تعيش بعد اليوم من دون رؤية قاسيون؟

الحكومة، الناس الذين هم حكومة، لا يحبون المهاجرين ذلك لأنهم أماتوا حبيباتهم. فبعد أن ابتعدت السفينة وغابت وراء الأفق وقال الناس إنها راحت نحو قبرص وقال آخرون نحو ايطاليا ألقت البنت بنفسها في الهاوية.

* قاص من سورية يقيم في امريكا

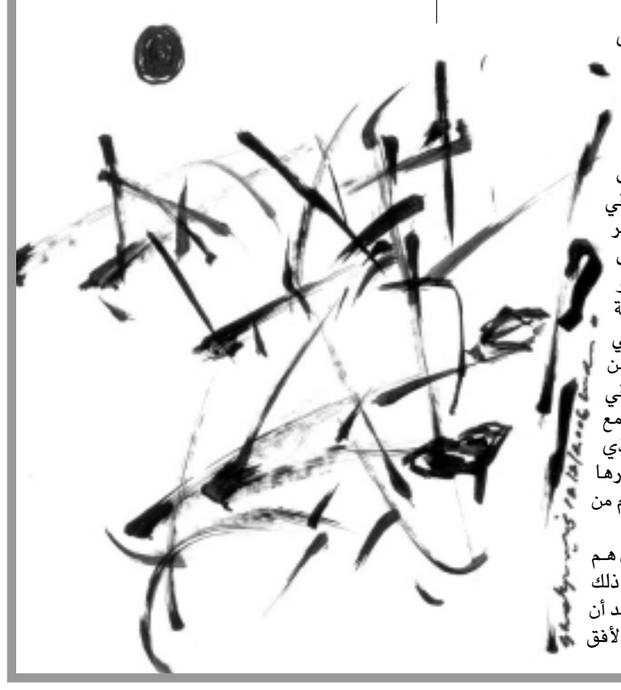

تداعيات

رحيل احد رواد الصحافة المهاجرة

عبد الباري عطوان

■ فقدت الصحافة العربية المهاجرة يوم امس الاول الحاج احمد الصالحين الهوني احد ابرز اعلامها، فالرجل كان شخصية متميزة ومختلفة بكل المقاييس، ابتداء بمواقفه السياسية المثيرة للجدل ومروراً بطيبته المفرطة، وانتهاء بحجمه الضخم.

ولا يستطيع احد ان ينكر، سواء كان في موقع المتفق او المختلف، ان الرجل كان صاحب رؤية اعلامية غير مسبوقة، عندما وقف بقوة خلف اول مشروع اعلامي عربي في لندن، وحفر اسمه كأحد ابرز رواد الصحافة العربية المهاجرة.

عرفت الحاج الهوني على مدى ربع قرن، وكان يجسد مدرسة صحافية فريدة من نوعها من خلال تربعه على عرش الزميلة «العرب» فقد كان بابه مفتوحاً دائماً لكل عابر سبيل، لا يرد طالب عمل، ويقف بميزانيته المتواضعة بقوة امام ناطحات سحاب صحافية منافسة.

مدرسة «العرب» الصحافية كانت معمل تفريخ للغالبية الساحقة من نجوم الصحافة العربية المهاجرة، وكانت المحطة التي توقف فيها الكثيرون وهم في طريقهم الى سلم الشهرة، وبعضهم وصل الى قمته، وتبوأ مراكز عليا.

الحاج الهوني رحمه الله كان يشعر بمرارة شديدة، وهو يرى المؤسسات الاعلامية الكبرى، المدعومة بميزانيات مالية متضخمة، تشن غارات على مدرسته الصحافية، وتغوي بعض تلاميذها النجباء، بالرواتب والامتيازات الضخمة، ويعبر عن هذه المرارة بمقالات نارية غاضبة تحرق الاخضر واليابس، ولكنه سرعان ما ينسى ويتقبل الامر، ويعوض بسهولة من يعتبرهم «ناكري الجميل» بوجوه جديدة، وكتاب جدد.

***

يُسجل للراحل الكبير موقفه الصلب، غير المساوم الى جانب العراق في الحربين اللتين واجههما في الاعوام العشرة الماضية، فقد وقف محارباً شرساً في وجه الهجمة الامريكية التي ارادت تدميره واحتلاله، وخسر بسبب هذه الوقفة الكثير من الاصدقاء والداعمين، وكاد ان يخسر صحيفة «العرب» نفسها، ولم يندم مطلقاً، فقد كان ايمانه بالامة العربية كبيراً، وثقته بانتصارها اكبر.

تزاملنا في اكثر من رحلة، والتقينا خارج لندن اكثر مما التقينا داخلها حيث نقيم، وكان رجلاً صريحاً واضحاً خفيف الظل قريباً الى القلب، لا يتردد في قول كلمة الحق مهما كانت جارحة. آخر لقاء جمعني بأبي يوسف كان في ابوظبي، وكان عائداً لتوه من بغداد قبيل الحرب الاخيرة باسابيع، فرأيته شخصية مختلفة، تعلو وجهه مسحة من الاكتئاب، فقد تبلورت لديه قناعة بان العراق الذي عرفه وخبره جيداً يواجه اكبر اختبار في تاريخه، وقد لا يعود الى وضعه السابق اذا ما بدأ العدوان عليه.

تعامل مع ابنائه بصرامة الاب الحريص الذي يريدهم ان يصبحوا رجالاً، وان يعتمدوا على انفسهم، وقال لي ان «العرب» هي ابنته الاثيرة على قلبه، ولذلك حتى يضمن استمرارها قرر ان يحولها الى «وقف»، وآمل ان تكون كذلك.

***

خاض الرجل معارك عديدة، مع الانظمة، مع افراد، مع ابناء المهنة، وواجه المحكمة تلو الاخرى، في دعاوى رفعها من يريدون كسر شوكته، ولكنه ظل صامداً، ولم يتردد لحظة في النزول الى ميدان الصدام ضد من يعتقد انهم خرجوا عن الثوابت.

الحاج الهوني ظل دائماً وفياً لاصدقائه، ومن وقفوا معه في ايامه الصعبة، وخاصة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والملك عبد الله بن عبد العزيز عاهل السعودية، والرئيس التونسي زين العابدين بن علي، رغم ان سياسة بعضهم لا تتفق مع قناعاته، خاصة اثناء حربي العراق الاولى والثانية.

رحم الله الحاج احمد الصالحين الهوني، فقد كان ظاهرة اعلامية مختلفة، ذات نكهة خاصة، اختلف معه الكثيرون، ولكن الامر المؤكد ان شعبيته في اوساط البسطاء كانت كبيرة جداً، وانه نقش اسمه بأحرف مضيئة في سجل الصحافة العربية المهاجرة التي كان وصحيفته «العرب» من روادها الاوائل.

أعمال ملتقى المبدعات العربيات تبدأ اليوم في تونس

■ تونس ـ يو بي أي: تبدأ اليوم الخميس في مدينة «سوسة» التونسية فعاليات الملتقى الحادي عشر للمبدعات العربيات الذي يناقش موضوع «ابداع المرأة العربية في مجال نقد الفنون» من مسرح وسينما وموسيقى وفن تشكيلي.

ويشارك في هذا الملتقى، الذي ستتواصل أعماله على مدى ثلاثة أيام، مبدعون ومبدعات وخبراء في نقد الانتاج الفني بمختلف أنواعه من تونس وعدد من الدول العربية منها لبنان والجزائر والأردن ومصر والعراق وسورية.

وقالت مديرة الملتقى التونسية نجوى المستيري شريف، ان من بين المشاركات في هذه الدورة الجديدة هناك اللبنانية سحر طه، والمصرية فريدة مرعي، والعراقية عواطف نعيم، والسورية ليلاس حتاحت، والجزائرية جازية الفرقاني، والأردنية سامية الزرو.

وأوضحت أن المشاركات في الملتقى ستبحثن عدة مسائل ومواضيع هامة مثل «العوائق التى تواجه النقد النسائي في مجال الفنون»، و«أثر الرؤى النقدية النسائية في تطور الابداع في مجال الفنون» و«مبررات غزارة الانتاج النقدي النسائي في مجالات فنية وندرته في مجالات أخرى».

وأضافت أن مداخلات ستلقى خلال الملتقى حول «مساهمة النساء العربيات الفنانات في الحضارة الاسلامية» و«تاريخ النقد النسائي السوري» و«صورة المرأة من خلال موسيقى الأفلام العربية «.

كما يتضمن برنامج الملتقى عرضا سينمائيا لفيلم «التأشيرة «للمخرج التونسي ابراهيم اللطيف، وسهرة فنية لمجموعة موسيقية من فرنسا.

ويعتبر هذا الملتقى الذي يعود تأسيسه الى عام 1996، من أهم وأبرز المنتديات والملتقيات العربية التي تهتم أساساً بالمسائل و المواضيع ذات صلة بابداعات المرأة العربية في مختلف الميادين الثقافية.

وقد خصصت دوراته السابقة لبحث «جماليات الصورة في الابداع النسائي العربي» و«المرأة واصفة وموصوفة» و«الراويات العربيات» و«المرأة والسينما» و«المرأة والمسرح العربي» و«صور الرجل في ابداعات المرأة العربية» و«الرؤى التشكيلية المعاصرة للمبدعات العربيات» و«الطفل فى ابداعات المرأة العربية في المكتوب والمسموع والمرئي «،و«المرأة العربية والابداع الموسيقي» و«المرأة العربية والانتاج الاذاعي والتلفزيوني».